الإمام الخميني والأسس النظرية للسياسة الخارجية

أ. محمد ستودة

المقدمة:

شهدت ساحة الدراسات السياسية ولا تزال كغيرها من الساحات الفكرية تطوراً هائلا، في تعدد الآراء وتنوع التحليلات، وتفاوت النظريات، ولم تكن السياسة الخارجية بمنأى عن هذا التطور. إلا أن الجهود المبذولة في هذا المجال من أجل وضع مفاهيم ونظريات للوقائع والأحداث الدولية، ورسم أسس تحرك الدول ـ واجهت هي الأخرى جملة من الصعوبات، والمشكلات النظرية كتلك التي واجهتها سائر الاختصاصات في العلوم الإنسانية.

خاصة وأن ساحة إثارة هذه المسألة ما زالت تفتقد مقومات الخوض فيها[1]. وكان السؤال المطروح دوماً هو: كيف تدرس السياسة الخارجية؟ وما هي الأسس التي تعتمدها الدول في تخاصمها؟ وكيف تتخذ الدول قراراتها في الأزمات؟ وكيف ترتسم متغيرات السياسة الخارجية؟ وبشكل عام ماهي المتغيرات المؤثرة في تشكيل توجهات وأهداف السياسة الخارجية؟

بعض المفكرين– ومنهم: ماك لاند ومدلسكي وروزكرانس وكابلان– اهتموا بالسياسة الخارجية من زاوية النظام الدولي[2].

فهم يرون أن من حق الدول التحرك ضمن إطار النظام الدولي، وأن السياسة الخارجية للدول محددة ضمن هيكلية ونتاجات النظام العالمي. هذه النظرة إما أنها أغفلت المميزات الداخلية للدول الأعضاء في النظام العالمي، أو أنها تعتبر أن دور المتغيرات الداخلية غير مهم. وعلى هذا الأساس يجب التعرف على هياكل ونتاجات وقواعد وقيم وأهداف النظام العالمي عند دراسة السياسة الخارجية.

---

١ للإطلاع على ماهية النظام الدولي راجع كتاب:

PP.3-53 (Hedley, Bull: The Anarchical Society. (London: The Macmillan Press. LTD 1977)

٢ راجع كتاب «مباني ومدلهاي تصميم كيري درسياست خارجي» لحسين سيف زاده، مركز الدراسات السياسية والدولية– طهران ١٩٩٦، ص ١٢٨–١٤٨.

أما المفكرون الآخرون- ومنهم: ريشارد سنايدر، جوزيف فرانكل- فإن جلّ اهتمامهم ينصبّ على المتغيرات الداخلية، ويعتبرون أن التعامل الخارجي للدول يتأثر عادةً بالعوامل والعناصر الداخلية. وفي هذا المجال تدرس متغيرات عديدة: كالعقائد والقيم والتصورات الذهنية لدى السياسي، حيث يحظى باهتمام خاص[١].

وهناك مجموعة أخرى من أخصائيي العلاقات الدولية ومنهم: هنريد وجيمس روزنا- اعتمدوا على الجمع بين المحيط الداخلي والدولي، واعتبروا وجوب الالتفات إلى المستويين معاً[٢]. كما أن البعض الآخر اعتمدوا على نظرية الأنظمة، فقاموا بدراسة السياسة الخارجية من خلال جدواها[٣].

المقالة - التي بين يديك - تسعى إلى فهم السياسة الخارجية والتعرف عليها من خلال فكر الإمام الخميني(س) وتحاول أن تحدد الأسس النظرية في نظرة الإمام للسياسة الخارجية، في إطار دراسة وتحليل ساحة السياسة الخارجية المشحونة بالتعاون والتنافس والتعارض والخصومة. لهذا ومن أجل إعطاء جواب للمسألة الأساسية، فإن الإطار النظري المقترح لهذه الدراسة هو أن تتم بلحاظ المتغيرات الثلاثة: الإنسان والمحيط والدور الوطني، حيث يشكل الإنسان المتغير الأهم من بينها.

١- متغير الإنسان:

١-١- ماهية الإنسان:

من خلال نظرته العرفانية والأخلاقية يبدي الإمام الخميني(س) اهتماماً خاصاً بباطن الإنسان وروحيته وصفائه وأخلاقه وسيرته، ويتصدى في خطاباته وكتاباته لدراسة الإنسان والفرد من حيث كونه مهذباً أو غير مهذب، ففي كتبه نجده تارة يتعرض للإنسان بما هو إنسان، وأخرى بما هو حاكم وسياسي، وثالثة بما هو مجموعة أفراد أو مجتمع إنساني. فيتناول أعماله وسياساته الداخلية والخارجية حسب موقعه وبدرجات متفاوتة. فيقول الإمام(س) عن خلق الإنسان:«إعلم أن الإنسان أعجوبة لها نشأتان وعالمان، نشأة ظاهرة ملكية دنيوية وهي بدنه. ونشأة باطنية غيبية ملكوتية من العالم الآخر»[٤].

---

١) نفس المصدر السابق، وللإطلاع على مباحث التنظير في السياسة الخارجية راجع كتاب:
Theodore A. Couloumbis and James H. Wolfe: Indtroduction to International Relations: Power PP. 125-148 (and Justice (New Delhi: Prentice Hall of India Private Limited, 1986)

٢) راجع كتاب:
James N. Rosenau, the Scientific Study of Foreign Policy.

٣) راجع كتاب:
William O. Chittick. The Analysis of Foreign Policy Outputs U.S.A.
Charles E. Merrill Publlshing Company.

٤) شرح «الأربعون حديثاً» للإمام الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني(س).

إن الإمام(س) يرى أن نفس الإنسان عند فطرها كانت كالصفحة الخالية من أي رسم، فأودع فيها نور الاستعداد واللياقة لنيل أي مقام. أما عن كيفية رشد النفوس الإنسانية ونموّها فيقول:

«إعلم أن النفوس الإنسانية عند بدء ظهورها، وتعلّقها بالأبدان، وهبوطها إلى عالم الملك كانت تحمل بالقوة جميع العلوم والمعارف والملكات الحسنة والسيئة، بل جميع الإدراكات والفعليات، ثم تحولت إلى الفعلية شيئاً فشيئاً، فظهرت فيها الإدراكات الضعيفة الجزئية أولاً بعناية الله جلّ وعلا، من قبيل الإحساس باللمس وغيرها من بقية الحواس الأخرى، ثم حدثت في الإنسان بعد ذلك الإدراكات الباطنية وبالتدريج أيضاً، لكنه بقي في ملكاته بالقوة أيضاً، فإذا وقع تحت تأثيرات ما، تغلبت الملكات الخبيثة فيه بحسب النوع، وصار ميالاً إلى القبح وعدم الإتزان... ولما كانت عناية الله تعالى ورحمته قد شملت ابن آدم من الأزل، فقد جعل في الإنسان نوعين من المربين والمهذّبين بتقدير كامل، وجعلهما كالجناحين... أحدهما المربي الباطني وهي قوة العقل والتمييز، والآخر المربي الخارجي وهم الأنبياء وأدلاّء طرق السعادة والشقاء»[١].

يتحدث الإمام(س) عن وجود القوى الثلاث في باطن الإنسان، ويعتبر أنها منبع جميع الملكات الحسنة والسيئة، ومنشأ جميع الصور الغيبية الملكوتية. هذه القوى الثلاث هي: قوة الوهم، وقوة الغضب، وقوة الشهوة. وإن الإفراط والتفريط في أي منها يعود على الإنسان بالضرر.

ويشير الإمام(س) إلى حديث الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول «الغضب مفتاح كلّ شرٍّ»[٢] فيقول «إن أكثر الفتن الكبرى، والمآسي وقعت بسبب الغضب واشتعاله»[٣].

١-٢-سياسة الفرد غير المهذّب:

واعتبر الإمام (س) أن السياسة الخارجية العملية للدول والقوى الكبرى مرتبطة بالقوى الباطنية وعدم التهذيب، فقال عن أعمالهم وتصرفاتهم:

«يقهر ويظلم كل من تصل إليه يده، وكل من يبدي أمامه أي مقاومة يفعل به ما أمكنه فعله، وعند مواجهته لأي أمر لا يلائمه يشعل فتيل الحرب، ويبعد عن نفسه مضار ما لا يلائمه بأي وسيلة كانت، حتى لو أدى ذلك إلى أي إفساد في العالم... وكذلك هي قوة الغضب عند الإنسان، بحيث إذا أصبح مالكاً مطلقاً للرقاب في بلدٍ ما، فإنه سيلتفت إلى البلد الآخر الذي لم يمسك بزمامه بعد، بل إنه كلما طالت يده أكثر كلما ازدادت هذه القوة فيه. وكل منكر لذلك ما عليه إلا أن يراجع نفسه، وينظر في حال أهل هذا العالم من قبيل السلاطين والأثرياء وأصحاب السلطة والمناصب، عندئذٍ سيصدقنا»[٤].

---

١) الأربعون حديثاً للإمام الخميني.

٢) الأربعون حديثاً للإمام الخميني.

٣) الأربعون حديثاً للإمام الخميني. وللتعرف على سبب وجود هذه القوى في الإنسان راجع كتاب الإمام الخميني «رسالة في الطلب والإرادة».

٤) الأربعون حديثاً للإمام الخميني.

وخلال حديثه عن وضع السلاطين وأصحاب السلطة يتناول الإمام سياسة النظام البهلوي العميل، قائلاً:

«لقد جرّ النظام البهلوي العميل هذا البلد إلى السقوط والإنهيار على كافة الصعد في شتى المجالات خلال ما يزيد عن خمسين عاماً، ورمى بثروات البلد الوفيرة في جيوب الأجانب وخاصة انجلترا وأمريكا، وصرف الباقي على نفسه وعلى الإنجليز وعملائهم، وجعلنا نواجه المشاكل الكثيرة»[١].

واعتبر الإمام(س) أن سبب التوجهات الخاصة للسياسة الخارجية في الحقبة البهلوية ناشئة من عامل نفسي في شخصية رضا باشا وابنه، ولدى السياسيين الأجانب غير المهذبين، وقال:

«لقد قام أولئك بهذه الأعمال لوجود مشكلة روحية لديهم، وهي اللاتناهي الذي يمارسه الإنسان في باطنه وفي فطرته، فآماله لا نهاية لها ولا تتوقف عند حدٍّ. وعندما تكون آمال الإنسان هكذا، ويكون الإنسان أسيراً لهذه الآمال التي لا تتوقف، ويرى المتجبر أن آماله هذه ورغباته المادية تلك وقدرته تلك تحفظ سلطته على شعبه، عندئذ لا يرى نفسه مجبراً على العمل من أجل شعبه، لأنه من الطبقة المرفهة ومن الطبقة المقتدرة، والقدرة وحب المال والجاه لا حد لها أيضاً. فيفعل ما يفعله بالشعب من أجل حفظ قدرته ودعامته، فيقدم للآخرين كرامة الشعب وخزائنه، ويبقى لنفسه شيئاً لا يذكر»[٢].

الإمام(س) اعتبر أن السياسات الإستعمارية والقوى الأجنبية لدول العالم الثالث، والدول الإسلامية ناشئ عن وجود حكام لا يهتمون بمصالح الشعوب، ويقومون بأي عمل من أجل امتلاك السلطة وتأمين مطامعهم[٣] فهو يرى أن سبب المشكلة في عالمنا الحاضر (والغابر) والمبتلى بالحروب وسفك الدماء إنما ترجع إلى الأفراد غير المهذبين[٤] وأن وقوع الحربين العالميتين الأولى والثانية وسائر الفجائع العالمية كان بسبب وقوع الأسلحة بيد أفراد غير صالحين[٥] فيقول في هذا المجال:

«عندما لا يعتمد السياسيون الطريقة الأخلاقية والإنسانية، يصبحون «قبضايات»، ولكن ليس «القبضايات» الذين يتحكمون في حي واحد بل الذين تشغلون حيزاً واسعاً من العالم، فما ورد في الرواية «إذا فسد العالم فسد الحاكم» فإن مصداقه الأعلى هم علماء السياسة الفاسدون هؤلاء، الذي يجرّون العالم نحوا لفساد... فلو رحل أولئك عن العالم، لوجد الناس الهدوء والسكينة»[٦].

وحول سبب توسل السياسيين الكبار والقوى السياسية الكبرى بسياسة الاستغلال والنهب،

---

١) «درجستجوي راه ازكلام» ج٤، ص ٢٩٥.
٢) «درجستجوي راه ازكلام» ج ٢٢، ص ١٦-١٦١.
٣) «درجستجوي راه ازكلام» ج٢٢، ص ١٧٥.
٤) صحيفة النور، ج١١، ص ١٤.
٥) صحيفة النور، ج٢، ص ٢.
٦) صحفة النور، ج١٨، ص ١٧٥.

وسريان تصرفاتهم هذه إلى سياستهم الخارجية يقول:

«هذه القوى الكبرى التي نسمّيها نحن قوى كبرى، يجمعون قواهم ليحققوا آمالهم الحيوانية والشيطانية، ولا يبلغونها تماماً، هذا، إن كانوا يتوقفون عندما يرومون. لكنكم ترون أن هذه القوى مهما تقدمت نحو أهدافها، تعود وتخطو من جديد نحوها، ولو ملكت العالم كله، لما اكتفت...[١] وكل هدف هؤلاء الجناة هو بلوغ درجة من القوة، يسحقون معها كل من يقف في وجوههم»[٢].

١-٣- سياسة الفرد المهذّب:

أما إذا كان الإنسان مهذّبا، أي -كما يرى الإمام- أخضع نفسه لتربية الأنبياء[٣]. وكان على رأس الشؤون السياسية، فإن توجه سياسته الخارجية سيعتمد قاعدة اللاشرقية واللاغربية، لأن جذور هذا الأمر نابعة من الصراط المستقيم. ويبيّن الإمام مفهوم الصراط المستقيم في السياسة الخارجية، ويعتبر أن « سياسة اللاشرقية واللاغربية هي أساس ثابت لا يمكن التخلّي عنها في السياسية الخارجية لإيران الإسلامية»[٤].

يقول الإمام عن مفهوم الصراط المستقيم:

«... فالله تعالى بمقام اسمه الجامع وكونه رباً للإنسان لكنه على الصراط المستقيم، كما يقول: إنَّ ربّي على صراط مستقيم»[٥].

وخلال تفسيره للآية الكريمة ﴿أفمن يمشي مكبّاً على وجهه أهدى أمّن يمشي سويّاً على صراط مستقيم﴾ يقول الإمام(س):

«الأحاديث الشريفة التي وردت تعقيباً على الآية الكريمة فسّرت الصراط المستقيم بأمير المؤمنين والأئمة المعصومين عليهم السلام»[٦].

فالإمام الخميني(س) يرى أن المؤمنين يتّبعون الإنسان الكامل، فيخطون حيث خطى، ويسيرون بنور هدايته ومصباح معرفته[٧].

وقد بيّن الإمام الخميني(س) كيف تكون سياسة اللاشرقية واللاغربية معتمدة على الصراط المستقيم، خلال لقائه بمسؤولي وزارة الخارجية، فقال:

«بناءً على هذا، فإننا عندما نكون موحّدين، وعندما نكون يداً واحدة، يمكننا أن نقف بوجه العالم كله ونقول إننا لن نسير نحو المغضوب عليهم ولا نحو الضالين. لن نسير نحو الغرب، ولا نحو

---

١) «درجستجوي راه ازكلام» ج١٤، ص ٦٢.
٢) نفس المصدر، ص ٥٩.
٣) صحيفة النور، ج١٤، ص ١٠٣.
٤) «فرياد براءت» ص ١٤.
٥) الأربعون حديثاً للإمام الخميني.
٦) الأربعون حديثاً للإمام الخميني. والآية من سورة الملك/٢٢.
٧) الأربعون حديثاً للإمام الخميني.

الشرق. نعم عندها يمكننا أن نكون هكذا، وأن نسير على الصراط المستقيم»[١].

ويرى الإمام(س) إن استراتيجية إيران الإسلامية هي السياسة الحقيقية لعدم الانحياز لإعتمادها سياسة اللاشرقية واللاغربية، ويؤكد عدم العدول عن هذه السياسة[٢] لأن بقاء الجمهورية الإسلامية واستمرارها رهن بالثبات على هذه السياسة[٣] ففي إطار هذه السياسة يتشكل الاستقلال والحرية، والدفاع عن المحرومين والمستضعفين، ومواجهة الظلم والجور، وفي إطارها تتحقق سائر خطط وأهداف الجمهورية الإسلامية.

ويقارن الإمام الخميني(س) بين الثورة الإسلامية وسائر الثورات، ويعتبر أنّ من خصوصياتها الأساسية اعتمادها لسياسة اللاشرقية واللاغربية[٤] فقال في وصيته:

«إنني أوصي هنا الشعوب الشريفة المظلومة، وشعب إيران العزيز، أن يتمسكوا بحزم واستقامة وثبات بهذا الصراط الإلهي المستقيم الذي منَّ الله عليهم به، المصان من الارتباط بالشرق الملحد أو الغرب الظالم الكافر، وأن لا يغفلوا لحظة واحدة عن التضرّع بالشكر على هذه النعمة. وأن لا يسمحوا لعملاء القوى الكبرى القذرين -الأجانب منهم والمحليين الذين هم أسوأ من الأجانب- أن يزعزعوا نواياهم الطاهرة وإراداتهم الحديدية...»[٥].

٢- متغير المحيط:

وقد قسّمت متغيرات المحيط إلى مجموعتين: المحيط الداخلي(البلد) والمحيط العملياتي(النظام العالمي)[٦] ويعود الإمام(س) إلى باطن الإنسان وتأثيره على أعمال الفرد السياسي وتحركاته، فيوضح العلاقة بين متغيريّ كلا المحيطين ومتغير الإنسان.

١-٢- المحيط الداخلي:

بما أن متغيرات المحيط الداخلي عديدة، فسنشير باختصار إلى ثلاثة منها فقط وهي: نوع الحكومة، نوع المجتمع، الإمكانات والقدرات.

أ- نوع الحكومة: هناك عدة تقسيمات مطروحة لأنواع الحكومات، لكن المسلّم به هو أن السياسة الداخلية والخارجية للدول تتأثر بنوع الأهداف التي تصبوا إلى تحقيقها هذه الحكومات أو تلك وبكيفية تركيبتها.

وقد أشار الإمام الخميني(س) في كتاب الحكومة الإسلامية إلى حكومات الاستبداد، والتسلّط

---

١) صحيفة النور، ج١٩، ص ١٩٤.
٢) صحيفة النور ج٧، ص ١١٤. وج٢١ ص ٣٦. وج١٢ ص ١٢٢.
٣) صحيفة النور ج٢١، ص ٣٦.
٤) صحيفة النور، ج١٩، ص ٥.
٥) النداء الأخير «وصية الإمام الخميني» مقدمة الوصية.
٦) راجع «ماهيت سياستكزاري خارجي در دنياي وابستكي متقابل كشورها» لباربر وسميث، ترجمة حسين سيف زاده، طهران، ١٣٧٢ ش . ص١٢٢-١٩٠.

المطلق، والمشروطة المتعارفة، والملكية، والإمبراطورية. وقال عن الحكومة الإسلامية:

«إنّ الحكومة الإسلامية هي حكومة القانون. وفي هذا النوع من الحكومات يكون الحكم خاصاً بالله، والقانون هو أمر الله وحكمه»[١].

ويذكر الإمام(س) الشروط العامة للحاكم كالعقل والتدبير، ويركز على شرطي العلم بالقانون والعدالة[٢] ويعتقد أن هذه الشروط لو اعتمدت لما كان هناك خضوع أمام أمريكا وانجلترا، فيقول:

«كلما اعتمدت هذه السيرة، وكانت الحكومة إسلامية، لا يقع تسلّط على أرواح الناس وأموالهم، ولا سلطنة، ولا ملكية، ولا هذا الظلم والنهب وتفريغ الخزانة العامة والفحشاء والمنكرات...

لولا هذه المظاهر السلطانية المكلفة، وهذا التبذير والإسراف والاختلاسات، لما وقع عجز في ميزانية البلد، ولما خضعوا أمام أمريكا وانجلترا، وطلبوا القروض والمساعدات... ومن ناحية أخرى فإن الوظائف الإدارية الزائدة عن الحاجة، وأسلوب الإدارة المصحوب بإعداد الملفات واستخدام الروتين في المعاملات مما هو غريب عن الإسلام، يحمّل ميزانية الدولة نفقات لا تقل عن النفقات المحرمة المذكورة آنفاً»[٣].

ب- نوع المجتمع: المجتمع الذي يريده الإمام الخميني(س) هو مجتمع توحيدي[٤] من خصوصياته: أنه هادف[٥] ومنظم[٦] ويسعى نحو الوحدة والاستقلال[٧]. ويعرّف الإمام(س) المجتمع التوحيدي فيقول:

«المجتمع التوحيدي هو المجتمع(التوحيدي) بمعناه الحقيقي، لا بمعناه المغلوط... ومع حفظ جميع الرتب، لكن أفراده يحملون نظرة واحدة، وكأنهم موجود واحد»[٨].

ويرى الإمام(س) أن الإنسان بمنزلة المجتمع التوحيدي، حيث العقل يأمر، واليد تتلقى الأمر. لكن كليهما يسيران في طريق واحد، كل الأعضاء تعمل لإدارة هذا البلد الفردي أي الإنسان[٩] والجميع في المجتمع التوحيدي في خدمة الإسلام. ويرى الإمام أن الوجه الآخر للمجتمع التوحيدي هو نظمه. فإذا حلّت الفوضى في ذلك المجتمع وساد الهرج والمرج، قضى العالم بأن

---

١) الحكومة الإسلامية للإمام الخميني. ص٥٤.
٢) الحكومة الإسلامية للإمام الخميني.ص ٥٨.
٣) الحكومة الإسلامية للإمام الخميني.ص ٥٧ – ٥٨.
٤) صحيفة النور، ج١١، ص ١٣٦.
٥) صحيفة النور، ج١١، ص ١٣٦.
٦) صحيفة النور ج١١، ص ١٣٦.
٧) صحيفة النور ج١١، ص ١٣٩– ١٤٠.
٨) صحيفة النور ج١١، ص ١٣٦.
٩) صحيفة النور ج١١، ص ١٣٦.

ذلك البلد بحاجة لقيّم، فتهيأ الظروف لإيجاد ذلك القيّم. فإذا هاجم العدو ذلك البلد، أمكن الدفاع عنه، من قبل الدول التي تعتبر الدولة الإسلامية قدوةً لها[١].

يرى الإمام الخميني(س) إن استقرار النظام، سيؤدي إلى إيجاد الوحدة والإنسجام، وأن كل انتصارات البلد الإسلامي وتقدمه ينشآن من وحدته وانسجامه، اللذين يؤديان بدورهما إلى حفظ النظام[٢].

ج- الإمكانات والقدرات(مصادر القوة): وتنقسم مصادر القوة إلى مجموعتين مادية ومعنوية. ويشير الإمام(س) إلى المصادر المادية للقوة، لكنه يولي المصادر المعنوية للقوة الأهمية الكبرى. ويعتبر أن من عوامل انتصار الثورة الإسلامية وجود الإمدادات الغيبية وإيمان الناس ووحدتهم وروح الاستشهاد، فيقول:

«إننا لم نتغلب على -هذه المشاكل هذه المصائب التي هبّت علينا- بقدرتنا الطبيعية،لأن قدرتنا كانت -حسب الطبيعة- قدرة ضئيلة جداً... لقد انتصر شعبنا في هذه النهضة باتكاله على الله فقط»[٣].

ويؤكد الإمام(س) على عقائد الناس كثيراً خلال حديثه عن المصادر المعنوية للقوة، فيقول:

«إذا كنتم تفكرون وتعتقدون أنه بإمكاننا أن نكون مستقلّين، وأن لانكون مرتبطين بالآخرين، فستكونون كذلك... أيها الصناعيون ويا من تعملون في المرافق الصناعية، إذا اعتقدتم بذلك، وبأنه يمكنكم أن تكونوا صنّاعاً، ويمكنكم أن تبتكروا، فستتمكنون من ذلك»[٤].

وفي مجال المصادر المادية للقدرة، يؤكد الإمام الخميني على جعل البلد صناعياً وتحديثه[٥]، ويعتبر أن من المصادر المادية للحكومة الإسلامية، مصادرها المالية، ومنها: الضرائب والخمس والأنفال.

ويقسّم الإمام الضرائب إلى قسمين هما: الضرائب الإجبارية، والضرائب الاختيارية. ويقسّم الضرائب الإجبارية بدورها إلى قسمين: الضرائب السنوية، والضرائب الاستثنائية. ومصداق الضرائب الاستثنائية ما يدفع خلال الأضطرابات والأزمات، وهي ضرائب غير محددة، ويحق للحكومة أن تعتبرها قرضاً أو ضرائب غير مباشرة واستثنائية إذا رأت ذلك، وهي بمقدار حاجة البلد، وتستوفى بتقسيمها العادل، وتصرف من أجل استقلال الدولة الأسلامية[٦].

٢-٢- المحيط العملياتي(المحيط الخارجي): تتأثر السياسة الخارجية بمتغيرات متعددة للمحيط العالمي، منها النظام العالمي والدول والشعوب والمنظمات الدولية والحقوق الدولية. وآراء الإمام

---

١) صحيفة النور ج١١، ص ١٣٩-١٤٠.
٢) صحيفة النور ج١١، ص ١١٠و ٢٢٣.
٣) مختارات من آراء وأفكار الإمام الخميني، آيين إنقلاب إسلامي، ص ١٦٧.
٤) نفس المصدر ص ١٧٩.
٥) نفس المصدر ص ٤٧١.
٦) راجع مختارات من آراء وأفكار الإمام الخميني، آيين إنقلاب إسلامي، ص ٤٦٤.

ونظراته إلى هذه المتغيرات واسعة جداً، نورد هنا بعضاً منها بإيجاز:

أ- النظام العالمي: إن هيكلية النظام العالمي مازالت تفتقر إلى القدرة المطلوبة[١]. ولا يزال منطق القوى الكبرى يحكمها، وتقوم هذه القوى بمواجهة أي بلد يسعى للإستقلال مواجهة وحشية، ولا تكف عن التآمر ضدّه[٢]. ويشير الإمام إلى موانع المحيط العملياتي التي تقف في طريق السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية فيقول:

«لما كان رفع الحرمان جزءاً من عقائدنا وتقاليدنا، فإن ناهبي العالم لم يتركونا أحراراً في هذا المجال، وقد ضيقوا دوائر حصارهم ليضعفوا الحكومة والمسؤولين في بلدنا، وصبوا حقدهم وكرههم وخوفهم ووحشيتهم على هذه الحركة الشعبية والتاريخية في شكل آلاف المؤامرات السياسية والاقتصادية»[٣].

ب- الدول: وقد قسّم الإمام الخميني(س) الدول إلى مجموعتين: إسلامية وغير إسلامية، ورسم العلاقة مع تلك الدول على النحو التالي:

«تقيم الدول الإسلامية علاقات معنا، ونحن نراعي هذه العلاقات مادامت في مصلحة الإسلام والمسلمين... أما الدول غير الإسلامية فمن أراد منهم التعامل معنا بعدل، ونظر إلينا باحترام، فسنتفاهم معه، وعليه أن يعوّض عن الظلم الذي ألحقه بنا»[٤].

«وقد رفض الإمام سياسة العزلة[٥] واعتبر أن قطع العلاقات مع الدول أمراً مخالفاً للعقل والشرع[٦] لأن إقامة العلاقات أمر لازم لحفظ النظام وتطوره.

ج- الشعوب: وحول تأثير الشعوب على السياسة الخارجية لإيران الإسلامية، يشير الإمام إلى مشكلتين يواجههما المسلمون وهما: الإختلاف بين الحكومات، وإختلاف الحكومات مع شعوبها. ويرى أن السبب في عدم دعم الشعوب لحكوماتها يعود إلى تصرف الحكومات غير المناسب[٧]، فيقول عن ذلك:

«إن مشكلة الإسلام هي الحكومات الإسلامية وليست الشعوب[٨] ولو أزيلت هذه المشكلة من أمام المسلمين، لحقق المسلمون آمالهم، وطريق حل ذلك بيد الشعوب»[٩].

---

١) «نهضت هاي رهائي بخش در كلام امام» ص ١٤.
٢) صحيفة النور ج١١، ص ١٦٥.
٣) «فرياد برائت» ص ٤٣.
٤) صحيفة النور، ج١١، ص ٣٦.
٥) «درجستجوي راه از كلام إمام»، ج٤، ص ٤٠٠.
٦) صحيفة النور، ج١٩، ص ٧٣.
٧) «آئين انقلاب إسلامي» ص ٥١.
٨) صحيفة النور، ج١٤، ص ٩٣.
٩) صحيفة النور، ج١٢،ص٢٧٨.

٣- متغير الدور الوطني:

الأدوار الوطنية تطلق على مجموعة الالتزامات والواجبات التي تنوي الحكومة تنفيذها والوفاء بها. وهذه الأدوار ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتوجهات وأهداف السياسة الخارجية[١] وللحكومة الإسلامية أدوار في سياستها الخارجية أهمها:

- حكومة مستقلّة وفعالة.
- حفظ النظام وسيادته على كامل الأراضي.
- الحكومة القدوة.
- معارضة الوضع الحالي.
- الدفاع عن الشعوب المحرومة والمستضعفة.
- العمل على ترسيخ دعائم الوحدة.
- الحكومة الوسط.
- الدفاع عن العدالة العالمية.
- الدفاع عن حكومة الإسلام العالمية.

وقد تحدث الإمام الخميني(س) حول الأدوار المذكورة آنفاً، لكننا سنكتفي هنا بالإشارة بإيجاز إلى بعضها:

٣-١- الحكومة المستقلّة والفعّالة:

إن المقصود بالاستقلال في السياسة الخارجية لأي بلد، هو الاستقلال في المراحل الثلاث: وضع السياسات، اتخاذ القرارات، تنفيذ القرارات. وتظهر مصاديقه في المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية والدفاعية وغيرها. ورغم أن النظرة الأولى تركز اهتمامها على الاستقلال السياسي، لكن الإمام الخميني(س) يرى أن الاستقلال الثقافي أهم، حيث يؤكد على متغيّر الإنسان وعقائده وذهنيته الفردية، ويعتبر أن ثقة الإن ان بنفسه وبأفكاره وعقائده شرط للوصول إلى استقلال البلد. فيقول عن ذلك:

«الأساس هو الاعتقاد بهذين الأمرين: الاعتقاد بالضعف والوهن والعجز، (للقوى الكبرى) والاعتقاد بالقدرة والقوة والتمكّن. (للشعوب الإسلامية)فإذا اعتقد الشعب وآمن أن بإمكاننا الوقوف بوجه القوى الكبرى، فإن هذا الاعتقاد سيؤدي إلى إيجاد القدرة على المواجهة، وسيقف بوجه القوى الكبرى»[٢].

ويعتبر الإمام أن سبب سعادة الشعب وبؤسه يكمن في ثقافته، ويقول:

---

١) في بيان أنواع أدوار الحكومة الإسلامية ومفهومها استفدنا من كتاب «مباني تحليل ساست بين الملل» لهالستي، ص ١٩٩-٢٠٨، طبعة ١٩٩٤م.

٢) «درجستجوي راه از كلام امام»، ج٢٢، ص ٢٠٥.

«إن طريق إصلاح أي بلد هو إصلاح ثقافته. لا بد أن يبدأ الإصلاح من الثقافة.... لأن الثقافة هي التي تتحرك في الوزارات، وهي التي تتحرك في المجلس، وهي التي تحرك موظفي الدولة»[١].

ويرى الإمام(س) أن على الحكومة الإسلامية أن لاتكتفي بالسعي لتحقيق الإستقلال الثقافي والسياسي والاقتصادي و... فحسب، بل عليها أن تكون حساسة تجاه الحوادث العالمية، وأن تسعى لإصلاحها. وهو يرى أن منطق الحكومة الإسلامية قائم على أساس منطق الأنبياء، وحول الآية الكريمة ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ يقول:

«إن منطق الأنبياء، هو أن يكونوا أشدّاء على الكفار وأعداء الشريعة، ورحماء فيما بينهم. وتلك الشدّة هي رحمة على أولئك»[٢].

٣-٢- حفظ النظام الإسلامي والسيادة:

في بحث شؤون وصلاحيات الولي الفقيه من كتاب «البيع» وفي بحث وجوب تشكيل الحكومة الإسلامية من كتاب «الحكومة الإسلامية»، يرى الإمام الخميني(س) أن حفظ النظام الإسلامي من الواجبات الإلهية، فيقول:

«إنَّ حفظ حدود البلد الإسلامي من هجوم أي غزو خارجي، الوقوف بوجه هيمنة المعتدين عليه أمر واجب عقلاً وشرعاً»[٣].

وفي كتاب «الحكومة الإسلامية» وعلى هامش أحكام الدفاع يدرج الآية ﴿وأعدوا لهم استطعتم من قوة.... ﴾ فيقول:

«هذه الآية تأمرنا أن نكون أقوياء ما استطعنا ذلك، وأن نكون مستعدين، لئلا يتمكن أعداؤنا من ظلمنا، والاعتداء علينا»[٤].

٣-٣- الحكومة القدوة:

نظراً لوجود خصوصيات في الثورة الإسلامية والشعب الإيراني، لذا فإن الإمام(س) يرى فيهما قدوة وأسوة لسائر الشعوب، ويعتبر أن التحول الذي حصل في الشعب الإيراني هو تحوّل نفسي،على طبق مفاد الآية الكريمة ﴿إنَّ الله لا يغيّر ما بقومٍ حتى يغيّروا ما بأنفسهم﴾ وكانت نتيجة ذلك التغيير النفسي انهيار النظام الطاغوتي، وقيام نظام إسلامي مكانه[٥] فيقول عن الشعب الإيراني:

«إنني أدّعي بجرأة أن الشعب الإيراني وجماهيره المليونية في العصر الحاضر أفضل من شعب الحجاز في عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله، وكوفة العراق في عهد أمير المؤمنين والحسين بن

---

١) « درجستجوي راه از كلام امام»، ج٢٢، ص ١٨٣.
٢) صحيفة النور، ج١٩، ص ٥٦.
٣) «شؤون واختيارات ولي فقيه»، ص ٢٣.
٤) الحكومة الإسلامية للإمام الخميني.
٥) «آئين انقلاب إسلامي»، ص ١٧٢-١٧٣.

علي صلوات الله عليهم»[١].

ويقول الإمام الخميني في وصيته: أيضاً:

«إنَّ ما نهضتم من أجله، أيها الشعب الشريف والمجاهد، وما زلتم ماضين في تحقيقه، وبذلتم من أجله الأرواح والأموال هو أسمى وأعلى وأغلى هدف وغاية يمكن السعي من أجلها، منذ صدر العالم في الأزل، وحتى ما وراء هذا العالم وإلى الأبد. فهو رسالة الألوهية بمعناها الواسع، وعقيدة التوحيد بأبعادها السامية التي تمثل أساس الخلقة وغايتها في هذا الوجود الواسع، وفي درجات الغيب والشهود ومراتبهما»[٢].

وبناءاً على ما ذكر قال الإمام:

«وأما وصيتي إلى الشعوب الإسلامية، فهي أن يجعلوا حكومة الجمهورية الإسلامية وشعب إيران المجاهد قدوةً لهم، وإذا لم تستجب حكوماتهم الجائرة لإرادتهم الماثلة لإرادة الشعب الإيراني، فليهبّوا بكل قوّة لإيقافها عند حدها، فإن أساس شقاء المسلمين هو الحكومات العميلة للشرق والغرب»[٣].

نعم... إن الإمام الخميني يعتبر أن الشعب الإيراني هو حجة على سائر الشعوب، فيقول:

«إن الشعب الإيراني أعزّه الله قد سدّ طريق الأعذار، وأثبت أنه من الممكن الوقوف أمام القوى الكبرى، واستعادة حقه الإنساني»[٤].

٣-٤- المدافع العقائدي الخاص، وتعميم ذلك:

ميّز سماحة الإمام الخميني(س) بين الإسلام الأمريكي والإسلام المحمدي الأصيل، واعتبر أن من واجب الشعب والحكومة الإسلامية الدفاع عن الإسلام المحمدي الأصيل ونشره، ومن هنا يبرز مفهوم ومعنى تصدير الثورة الإسلامية. وقد بين الإمام الحد بين الإسلام المحمدي الأصيل والإسلام الأمريكي بقوله:

«إن الإسلام هو ذاك الذي يحمل لواءه الحفاة والمظلومون وفقراء العالم، وأعداؤه هم اولئك الملحدون والكفار والرأسماليون وعبدة المال والثروة. إنه الإسلام الذي يفتقر أنصاره الواقعيون دوماً إلى المال والقدوة، وأعداؤه الحقيقيون هم كانزو الذهب الماكرون وذوو القدرة اللاهون والجهلة المتظاهرون بالقداسة...»[٥].

ويرى الإمام الخميني(س) أن فلسفة نشر الإسلام المحمدي الأصيل هي الرسالة الإسلامية العالمية لإقامة نظام عالمي عادل. وأن المقصود من تصدير الثورة هو نشر الإسلام[٦] ويعتقد الإمام في هذا المجال:

---

١) نفس المصدر، ص ٤٤٩.
٢) النداء الأخير، وصية الإمام الخميني، مقطع عودة إلى الشعب الإيراني.
٣) النداء الأخير، وصية الإمام الخميني،مقطع وصية الشعوب.
٤) صحيفة النومر، ج١٩، ص ٤٢.
٥) « «آئين انقلاب إسلامي»، ص ٤٦٠.
٦) صحيفة النور، ج١١، ص ٢١-٢٨.

«إننا بتصديرنا لثورتنا الذي هو في الحقيقة نشر للإسلام الصحيح وبيان للأحكام المحمدية، سننهي سيطرة وسلطة وظلم ناهبي العالم»[١].

بناءاً على ما تقدم فإن كل دولة ترى لنفسها دوراً يتبلور في إطار استراتيجية سياستها الخارجية، وترسم أهدافها على أساسها.

في هذه المقالة تناولنا بعض أدوار الحكومة الإسلامية من خلال السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية في إيران، وتركنا دراسة دور الدول غير الإسلامية إلى فرصة أخرى.

خلاصة:

إن ما طرح هو بيان موجز للإطار العام للأسس النظرية للسياسة الخارجية في نظر الإمام الخميني(س) في هذا البحث النظري الذي يحتاج إلى تحقيق وتمحيص أكثر،تناولنا دراسة السياسة الخارجية ومتغيراتها الثلاث: الإنسان والمحيط والأدوار الوطنية. ويمكننا الاستنباط من البحث أن اهتمام الإمام في نظرته للسياسة الخارجية ترتكز على الإنسان وسيرته، ومن خلال التحليل بمستوى أكثر تفصيلاً يمكننا التعرف على آراء الإمام أكثر.

يرى الإمام أن هناك صراطاً مستقيماً للإنسان، وللحكومة والحكام هناك صراط مستقيم أيضاً، ويتجلى في السياسة الخارجية بسياسة اللاشرقية واللاغربية. وأي حكومة تسير على الصراط المستقيم فإن استراتيجيتها وأسسها وأهدافها وتصرفاتها في السياسة الخارجية ستكون استمراراً لحركة الأنبياء عليهم السلام.

ومن خلال استعراضه لعوامل المحيط الداخلية والعالمية المؤثرة على رسم السياسة الخارجية، يؤكد الإمام الخميني(س) على تقوية العقائد النظرية العامة للناس، وعلى توعية الشعوب واستنهاضها لتحقيق أهداف السياسة الخارجية للحكومة الإسلامية.

ويرى الإمام(س) أن تصدير الثورة هو نشر الإسلام المحمدي الأصيل، وهي رسالة الحكومة الإسلامية والتزامها، وأن ذلك يترجم من خلال دعم الشعوب المحرومة والمستضعفة، والدفاع عن حكومة الإسلام العالمية. وإن أدوار الحكومات الإسلامية تجد معناها ومفهومها في هذا الأمر.

نأمل أن يكون هذا البحث مقدمة لبحوث أوسع وأكثر فائدة لمعرفة الأبعاد النظرية لآراء وأفكار الإمام الخميني في مجال السياسة الخارجية.

---

١) «درجستجوي راه از كلام امام»، ج١٠، ص ٤٣٥.